

لغة – كلام

مجلة علمية محكمة تصدر عن مختبر اللغة والتواصل
بالمركز الجامعي أحمد زبانة بجليزان / الجزائر

• من أزمة الثقافة إلى سلطة الأزمة في "الجثة -
صفر" لفهد ردة الحارثي
سعيد كريمي

• الصورة الكاركاتورية وتأثيرها في المتلقي
طانية حطاب

• القرآن ومظاهر إعجازه في الكتب البلاغية
حمو عبد الكريم

• فاعلية التكرار في رسالة الجد والهزل للجاحظ
(دراسة تحليلية في ضوء لسانيات النص)

مفلاح بن عيد الله

ISSN/247. 0746

لغة - كلام

مجلة علمية محكمة تصدر عن مختبر اللغة والتواصل بالمركز الجامعي بجليزان / الجزائر

المدير مسؤول النشر/ رئيس التحرير
د/ مفلح بن عبد الله

الهيئة الاستشارية

أ.د/ حاتم عبيد	السعودية	أ.د/ أحمد حساني	الإمارات
أ.د/ العربي عميش	الجزائر	أ.د/ لزعر مختار	الجزائر
أ.د/ بريمي عبد الله	المغرب	أ.د/ عبد القادر فيدوح	البحرين
أ.د/ ملياني محمد	الجزائر	أ.د/ عقاق قادة	الجزائر
أ.د/ سعيد كريمي	المغرب	أ.د/ مونسي حبيب	الجزائر

شارك في تحكيم هذا العدد

د/ عزالدين الناحج	السعودية	د/ بن عسلة عبد القادر	الجزائر
د/ حمودي محمد	الجزائر	د/ خاين محمد	الجزائر
د/ دلدار عبد الغفور البالكي	العراق	د/ حمو الحاج ذهبية	الجزائر
د/ خليفي سعيد	الجزائر	د/ بن قرماز طاطا	الجزائر
د/ حمو عبد الكريم	الجزائر	د/ خالد سمير	الجزائر
د/ مليكة ناعيم	المغرب	أ.د/ العربي عميش	الجزائر

هيئة التحرير

أ/ بوغازي حكيم	أ/ بوقفحة محمد
----------------	----------------

تمت طباعة هذه المجلة بدار أم الكتاب:



فهرس الموضوعات

05	سعيد كريمي	من أزمة الثقافة إلى سلطة الأزمة في "الجثة- صفر" لفهد ردة الحارثي
21	حمو عبد الكريم	القرآن ومظاهر إعجازه في الكتب البلاغية
33	طانية حطاب	الصورة الكاريكاتيرية وتأثيرها في المتلقي
43	عبد الله بلعباس	إشكالية تناول النص الفلسفي في التعليم الثانوي
55	سمير خالدي	ثقافة الصورة في رواية هوامش الرحلة الأخيرة لمحمد مفلح
65	شريفه حمو	البنية التركيبية للجملة الفعلية في ديوان محمد مصطفى الغماري
81	كريمة زيتوني	الأمّ المعلّقة في شعر المعلّقة (مقاربة موضوعاتية لتيمة الأم في شعر المعلّقات)
101	هوارى بن تني	الإصلاح والمدرسة الجزائرية (كتب مناهج الجيل الثاني للغة العربية في المرحلة الابتدائية نموذجا)
115	منصور بويش	نظريات السرد الحديثة (بحث في الاتجاه النسقي)
137	عبد الهادي بلمهل	حجية القياس بين اللغويين والفقهاء
147	لعمرى محمد	الاقتراض اللغوي في ضوء التّواصل الحضاري بين العرب والفرس في القرن الثّاني الهجري
167	مفلح بن عبد الله	فاعلية التكرار في رسالة الجد والهزل للجاحظ (دراسة تحليلية في ضوء لسانيات النص)

كلمة العدد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

يتشرف مختبر اللغة والتواصل بإصدار العدد الثالث من مجلته (لغة - كلام)، ولقد كان للصدى الطيب الذي تركه العدد الأول أكثر داعم لنا على الاستمرار وإصدار العددين الثاني والثالث.

ورغم حداثة مجلتنا إلا أننا نعتقد أنها تخطو على المسار الصحيح؛ فالمجلة وخلال عامها الثاني قامت بإصدار العددين الثاني والثالث، والأهم من ذلك حرصها على العناية بجودة البحوث التي احتوت عليها، وفتح صفحاتها أمام طلبة الدكتوراه، والفضل في ذلك يعود إلى الهيئة الاستشارية وإلى المحكمين المعتمدين وطنياً ودولياً. وتأمل المجلة في استمرار صدور أعدادها في مواعيدها - شهري جوان وديسمبر -، كذلك تأمل استمرار تعاون الباحثين معها. ولا يفوتني الإشارة إلى أن المجلة - التي تستعد حالياً لاستقبال العدد الرابع منها - ما كانت لتصدر لولا تضافر جهود الجميع سواء أعضاء هيئة تحريرها أم إدارة المختبر. ولذا فإنني باسم أعضاء المختبر أتوجه بالشكر الجزيل لكل من ساهم في إنشاء المجلة ودعمها إلى حين صدورها واستمرارها.

المدير مسؤول النشر/ رئيس التحرير

د/ مفلح بن عبد الله

القرآن ومظاهر إعجازه في الخطاب البلاغي

د. حمو عبد الكريم

باحث بالمركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا
الاجتماعية والثقافية وهران.

تاريخ استلام المقال: 2016/12/03

تاريخ التحكيم 2016/12/10

ملخص البحث:

القرآن الكريم هو مصدر الأمة الإسلامية علما وتشريعاً وأخلاقاً، وهو كتاب منتظم آياته ومتعاضدة مفرداته، لا تعارض فيه ولا تضاد، فيه أخبار الأولين ومآثر السالفين، لا تنقضي عجائبه عدل كلها أحكامه وأوامره، وصدق الله إذ يقول: "أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" النساء:82.

وفهم اللغة التي نزل بها الوحي القرآني هو السبيل الوحيد لفهم مراد الله تعالى، ولقد اعتبر أهل العربية أنَّ سور القرآن وآياته هي المنطلق الأول في الدراسات اللغوية لما تحويه من بيان ونظم واعجاز؛ إنَّ على مستوى الحرف أو المفردة أو الجملة أو التركيب العام الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، اللغة، الإعجاز، البلاغة، التفسير، الحرف، المفردة

Résumé:

Le coran est la source particulière de la nation islamique, c'est un livre qui porte des versets réguliers et qui n'a pas d'opposition et d'antagonisme. Comprendre la langue c'est comprendre le texte coranique, à cet effet les spécialistes de la langue arabe se basent sur les versets du coran dans leurs études linguistiques au niveau de la lettre, du mot, de la phrase ou la composition générale.

تستمد اللغة العربية أصولها من القرآن فتبقى أصولها ثابتة معه، وبذلك تضمن النطق الصحيح لجملة اللغة العربية، وأولويات هذه الأصول هي الأصوات، لأنَّ الأصوات هي أصل اللغات، يقول أحمد مطلوب: «إنَّ من أهم خصائص العربية ثبات أصوات الحروف فيها، لأنَّ جوهر الصوت العربي بقي واضحاً، وهو ما يتمثل في قراءة القرآن الكريم وإخراج الحروف الصامته إخراجاً يكاد يكون واحداً»¹

فلا عجب إذا تمَّ استقراء معالم الإعجاز من النَّص القرآني ومن عمق التراث العربي والإسلامي، وهذا سبب بقائها كل هذه السنين لما تتمتع به من مميزات جهازها الصوتي الذي

لا نجده في لغة أخرى، فكم من لغة تلاشت وعمَّها الدخيل وذابت وخمد شعاعها وانقضى أجلها، إلا العربية فقد مدَّدها القرآن وهذبها، وأكسبها الديمومة والتنوع اللغوي والدلالي الذي لا ينضب.

وقد نال الدرس البلاغي اهتماماً واسعاً من قبل علماء اللغة والقراءات وأهل التفسير، ومن الأعلام البارزين الذين اشتغلوا بإظهار القضايا البلاغية في القرآن نجد: علي بن عيسى الرماني(ت: 386هـ)، وأبو بكر الباقلاني(ت: 403هـ)، وأبو عمرو الداني(ت: 444هـ)، ومحمد بن الحسن الطوسي(ت: 460هـ)، وابن سنان الخفاجي(ت: 466هـ)، وعبد القاهر الجرجاني(ت: 471هـ)، وجار الله الزمخشري(ت: 538هـ)، وأبو علي الطبرسي(ت: 548هـ)، وأبو يعقوب السكاكي(ت: 626هـ)، وإبراهيم بن عمر الجعبري(ت: 732هـ) وبدر الدين الزركشي(ت: 794هـ)، وجلال الدين السيوطي(ت: 911هـ)... وغيرهم.

وسوف نسوق في هذا المقام بعضاً من أقوال هؤلاء الذين ذكروا أنفاً، مدركين أنَّ البحث في الإعجاز هو ما ينشده الدارس في الصوت والنحو والبلاغة، وهو الباب الذي تتجلى فيه قدسية القرآن الكريم، وهو ما طرحه الشعراوي في تفسيره وحرص عليه.

حقيقة الإعجاز في القرآن الكريم:

تكلم العلماء عن وجوه الإعجاز في القرآن الكريم فحصروها في وجوه عدة منها الإعجاز اللغوي، والعلمي، والتشريعي، والتأثيري وغيرها، وكان من أبرز هذه الوجوه هو ما ظهر من فصاحته وبلاغته، فهو خطاب الله إلى الخلق أجمعين على اختلاف أجناسهم وألوانهم وأزمانهم إلى يوم الدين، عندما علمه المؤمنون وجدوا فيه المتعة والجاذبية، فآمنوا أنه الحق من ربهم؛ وعملوا بمقتضى آياته، وأصبحوا خير أمة أخرجت للناس. وإنَّ الذين تناولوا الإعجاز في القرآن كُثُر، ونكتفي في هذا المقام ببعض من اشتهر منهم أمثال:

1- الخطابي: أكد أنَّ الإعجاز القرآني كائن في نظمه فقال: «واعلم أنَّ القرآن إنَّما صار معجزاً لأنَّه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مُتضمناً أصح المعاني»².

وفي موضع آخر يتحدث عن بلاغة القرآن في حروفه ولفظه وتراكيبه؛ فيقول: «وإنَّما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى قائم، ورباط لهما ناظم، وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة، حتى لا نرى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا نرى نظماً أحسن تأليفاً وأشد تلاؤماً من نظمه، وأما المعاني فلا خفاء على ذي عقل، إنَّها هي التي تشهد لها العقول بالتَّقدم في أبوابها والترقي إلى أعلى الدرجات الفضل في نعوتها وصفاته»³.

فقد استوعب الخطابي أساليب اللغة العربية ومعانيها، لهذا جاء بحثه من صميم الدرس الإعجازي، غير أنه يوجد من انتقد هذه الطريقة في الطرح واعتبر أن هذه الاطلاقات العامة في النظم القرآني غير مستندة إلى أمثله تطبيقية تشد عضدها.

2- الرماني: حصر وجوه الإعجاز القرآني في سبعة وجوه، وهي ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة، والتحدي للكافة، والصرفة، والبلاغة، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية، ونقض العادة، وقياسه بكل معجزة⁴.

وجعل القرآن أعلى رتبة من مراتب البلاغة، إذ نراه يُقسم البلاغة إلى ثلاث طبقات: «منها ما هو في أعلى طبقة، ومنها ما هو في أدنى طبقة، ومنها ما هو في الوسط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة، فما كان في أعلى طبقة فهو معجز وهو بلاغة القرآن، وما كان منها دون ذلك فهو ممكن كبلاغة البلغاء من الناس»⁵، وبالتالي فإن سر الإعجاز القرآني عند الرُّماني يكمن في البديع، وفي وجوه البلاغة.

فالعرب أعجزهم القرآن عن معارضته، رغم التحدي الذي طرق سمعهم وأقلق مضجعهم، وبهذا ندرك أن التحدي كان بالجانب اللغوي والبياني والبلاغي الذي اشتهر به العرب يوم نزول القرآن؛ بل إن كل متأمل في كتاب الله يظهر له منها مال يظهر لغيره، من أجل ذلك وجدناهم قد أفاضوا في ذكر هذه الوجوه، حتى رأينا السيوطي يصرح بقوله: «إن القرآن لانهية لوجوه إعجازه»⁶، وجميعها تدل على عظمة الله سبحانه، وتُقر بقدرته القادرة التي لا يحيطها شيء. «والرماني ببحثه هذا مهد السبيل وأشار إلى طرق البحث، ويسر المؤنة على من جاء من العلماء الذين أفادوا منه، واعترفوا من فضله وكانوا عالة عليه في كثير من أقواله وشواهد»⁷، وهكذا نجده يذهب إلى أن الإعجاز القرآني حاصل في نظمه وبيانه، واستطاع أن يجعل من دراسته مصدراً لكثير من العلماء.

3- الباقلاني: اعتبر كتابه "إعجاز القرآن" واجباً دينياً إلى جانب كونه عملاً علمياً، لذلك لم يدخر وسعاً وهو بصدد تحريره من أن يعمق فيه البحث ويتطرق إلى الكثير من القضايا التي تهمهم وتهم المسلمين، وفي الوقت نفسه تَرَدُّ على مظان الظانين، وتبطل أقوال الطاعنين.

ولقد دار الكتاب على قضايا متعددة منها: بيان شرف القرآن الكريم، والإخبار عن الغيب وأمية الرسول صلى الله عليه وسلم التي تؤكد أنه لم يكن يعرف شيئاً عن كتب الأولين، والإنباء عن قصصهم وسيرهم، وذكر براعة نظم القرآن وبديع تأليفه وتناهيه في البلاغة⁸.

ثم يعلق الباقلاني في سر التحدي الذي اختص به القرآن الكريم فيقول: «وإنما احتيج في باب القرآن إلى التحدي، لأنَّ من الناس من لا يعرف كونه معجزاً، فإنما يُعرف أولاً إعجازه بطرق،

لأنَّ الكلام المعجز لا يتميز عن غيره بحروفه، وصورته، وإنَّما يحتاج إلى علم وطريق يتوصل به إلى من معرفة كونه معجزاً»⁹.

فالباقلائي يتفق مع الرُّماني عندما جعل النَّاحية البلاغية وجهاً من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، وقد اعتبر أنَّ من يعرف أساليب البلاغة وآليات اللسان العربي وفنونها يدرك مقاصد القرآن الكريم وحواراته المتنوعة، وقال: «فأما من كان قد تنهى في معرفة اللسان العربي، ووقف على طرقها ومذاهبه- فهو يعرف القدر الذي ينتهي إليه وُسْعُ المتكلم من الفصاحة، ويعرف ما يخرج عن الوُسْع، ويتجاوز حدود القدرة- فليس يخفى عليه إعجاز القرآن، كما يميز بين جنس الخطب والرسائل والشعر»¹⁰.

وبالتالي فأبرز شيء في إعجاز القرآن هو ما يظهر فيه جانب الفصاحة والبلاغة والبيان، وروعة ضبط المعاني ودقة الألفاظ وانسجامها في مبانها، وتنسيقها تنسيقاً يتناسب مع عذوبة الأسلوب، ثم إحكامها في الربط، بحيث تستولي على قلوب السامعين والمنصتين لهذا القرآن الكريم.

أما موقفه من البديع فإنه يرى أنه لا يصلح أن يكون وجهاً إعجازياً في القرآن الكريم، إلا أنه لا يغفل قيمته الفنية ودوره الجمالي في تحسين الكلام، وإيصال المعنى إلى الأفهام، فقال: «لا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن من البديع الذي ادَّعوه في الشعر ووصفوه فيه، وذلك أن هذا الفن ليس فيه ما يخرق العادة ويخرج عن العرف؛ بل يمكن استدراكه بالتعلم والتدرب به والتصنع له، كقول الشعر ووصف الخطب وصناعة الرسالة والحدق في البلاغة، وله طريق يُسلك ووجه يقصد وسلم يُرتقى فيه إليه... فأما شأؤ نظم القرآن فليس له مثال يحتذى عليه، ولا إمام يقتدى به، ولا يصح وقوع مثله-يعنى في غير القرآن- اتفاقاً»¹¹.

وبالتالي فالإعجاز قائم على النظم؛ أي الترابط القائم بين أجزاء السورة والآيات، وليس البديع دخل فيه، ويرى أن لكل سورة وحدة موضوعية مترابطة وذلك على مدار القرآن كله كموضوع القصص مثلاً.

4- الجرجاني: ألف كتابين في الإعجاز "الرسالة الشافية" و"دلائل الإعجاز"، وقد أعطى لفكرة النظم في القرآن صورة جديدة، لعلها أروع صورة في تاريخ الإعجاز، بل هو مؤسس علم الإعجاز مستفيداً مما سمعه من سابقه ومستدرراً عما كتب في البلاغة وفي إعجاز القرآن الكريم.

ولقد عمد الجرجاني إلى البحث في البلاغة ووجوها وأساليبها للارتقاء بالنزق البلاغي عند القارئ، ومن ثم ليضع يده على مواطن البلاغة في كل كلام بليغ، سواء كان هذا الكلام شعراً

أو نثراً أو خطبة، ويبرز وجه الحُسْن في الكلام من خلال أمثلة مختارة، مُبيناً قضية اللفظ وخواص النظم الذي فيهما شحذٌ للبصيرة، وزيادة كشف عما فيها من السريرة، وبعد ذلك يلتفت من خلال تلك المقدمات، والأمثلة إلى تبيان إعجاز القرآن الكريم¹².

وقد انحصرت آراء الجرجاني في الإعجاز القرآني ضمن ثلاثة محاور هي:

أ- أنَّ القرآن الكريم معجز ببلاغته.

ب- أنَّ النظم هو الوجه الوحيد الذي حصل الإعجاز من جهته.

ج- بيان طبيعة النظم والتأليف وماهيتهما¹³.

ولم يكن عبد القاهر أول من جعل النظم وجهاً لإعجاز القرآن، وإنما هناك من سبقه إلى ذلك؛ وقد نفى أن يكون الإعجاز في الكلمات المفردة أو في ترتيب الحركات والسكنات أو المقاطع والفواصل أو في الاستعارة تمهيداً لبيان أنَّ الإعجاز قائم في النظم.

وفي ذلك يقول: «واعلم أنَّ ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النَّحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تريغ عنها، وتحفظ الرُّسوم التي رسمت فلا تخل بشيء منها»¹⁴.

ويولي عبد القاهر للنحو أهمية كبيرة في ترتيب الألفاظ والجمل مما يساعد في النظم، وفي هذا الشأن يقول: «هذا وأمر النظم في أنه ليس شيئاً غير توخي معاني النَّحو فيما بين الكلم، وأَنَّ ترتب المعاني أولاً في نفسك، ثم تحذو على ترتيبها الألفاظ في نطقك»¹⁵.

وقد نفى الجرجاني أن يكون الإعجاز في الإخبار عن الغيب، أو في الصرفة، أو في الألفاظ، أو في المعاني، أو في الفواصل والاقطاع، أو في خفة الحروف، أو في الاستعارات... ليصل إلى القول بأن الإعجاز كامن في نظمه، «وإذا امتنعت هذه الأسباب أن تكون أصلاً في الإعجاز، لم يبق إلا أن يكون في النظم والتأليف، لأنه ليس بعد ما أبطلنا أن يكون فيه إلا النظم»¹⁶.

ثم يرد الجرجاني ادعاء من زعم أن عجز العرب لم يكن لأجل أنهم لا يستطيعون أن يأتوا بمثل نظم القرآن، ولكن العجز ظهر فيهم لأنهم تحدوا بأن يأتوا بنظم في مثل نظم القرآن، ومعلوم أن هذا غير متمكن لديهم، ولا يصح التحدي إلا بما يتصور وجوده، وما يدخل في حيز الممكن، ويورد الجرجاني شواهد كثيرة من الشعر والنثر تؤيد وجهة نظره وتوضح هدفه، بعد ذلك يقول: «وإذا كان الأمر كذلك، لم يمتنع أن يكون سبيل لفظ القرآن ونظمه هذا السبيل، وأن يكون عجزهم على أن يأتوا بمثله عن طريق العجز عما ذكرنا ومثلنا»¹⁷.

وبهذا تكون قد اتضحت فكرة الجرجاني ومفهومه للإعجاز القرآني، الذي بناه على أساس النظم وجعله وجهاً يعلو كل الوجوه، وبنى عليه كل آرائه؛ بل جعله محو تأليفه وتصانيفه التي خصصها لدراسة البلاغة العربية عامة، والقرآنية خاصة.

أما أهل التفسير فقد تناولوا مسألة الإعجاز القرآني في تفاسيرهم باعتبار أن القرآن معجزة من وجوه مختلفة، بعضها خاص بالعرب الذين درسوا اللغة العربية وتذوقوا بلاغتها، وبعضها الآخر عام يدركه العقلاء من الناس على اختلاف أجناسهم، فأما ما كان للعرب من ذلك فهو بديع نظمه وحسن تأليفه وسمو بلاغته إلى الحد الذي يعجز الإتيان بمثله. وقد وضع الأستاذ شيخون أوجه الإعجاز وحدّها في:

أ- ما فيه من الأخبار عن المغيبات.

ب- ما فيه من الأخبار عن الماضي السحيق من حين خلق آدم إلى مبعث محمد عليه السلام.

ج- ما يتضمنه هذا الكتاب من التشريع العظيم الدقيق¹⁸.

فمن المفسرين من تناول أساليب الإعجاز القرآني في آيات التّحدي مثلاً في سورة البقرة وسورة العنكبوت وسورة الزخرف... وغيرها، وقد اجتهدوا في بيان وجوه الإعجاز البياني والبلاغي والأسلوبي؛ كذلك عملوا على إبراز قيمة الحرف والمفردة والجملة في السياق القرآني، وهم في ذلك بين مطنب في عرضها ومقتصد، ومن أبرز هؤلاء: الزمخشري في "الكشاف"¹⁹، وأبو حيان الأندلسي في "البحر المحيط"، وأبو السعود في "إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم"... ومن المفسرين مَنْ أفرد في مقدمة تفسيره موضوعات تتعلق باللغة العربية والإعجاز القرآني، نذكر منهم: تفسير ابن عطية في "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"²⁰، وتفسير القرطبي في "الجامع لأحكام القرآن"، وتفسير "الدر المنثور في التفسير بالمأثور" لجلال الدين السيوطي... أما في العصر الحديث فقد اهتم علماء التفسير بقضية الإعجاز نذكر منهم مصطفى صادق الرافعي، وسيد قطب، ومحمد عبد الله دراز، والإمام الشعراوي، وهم على التوالي:

5- الرافعي: يبدأ في حديثه عن الإعجاز بالحمل على جهود السّابقين ممن أثاروا إشكالية الإعجاز، فقد أشار إلى «أنّهم أطالوا الخصومة وفخموا ما شاءوا ومضغوا من الكلام ما ملأ أفواههم وجاءوا بفلسفة ومنطق... بيد أنّهم في كل ذلك إنما توافوا على صنيع واحد من الرد بعضهم على بعض، فمن فلج بحجته فقطع خصمه عن المعارضة، وأفحمه دون المناضلة، وكان الرأي في الإعجاز ما رآه هو، وكان أكبر برهان على صوابه عجز خصمه عن تخطئته»²¹. ويرى الرافعي أنّ نطاق الإعجاز في القرآن يتحدد في المعنى، فيقول: «وأما الذي عندنا في وجه الإعجاز وما حققناه بعد البحث -وانتهينا إليه بالتأمل وتصفح الآراء وإطالة الفكر وما استخرجنا من القرآن نفسه في نظمه ووجه تركيبه واطراد أسلوبه- إنّ القرآن مُعْجَز بالمعنى الذي يفهم من لفظ الإعجاز على إطلاقه حين ينفي الإمكان بالعجز غير الممكن، فهو أمر لا تبلغ منه الفطرة الإنسانية مبلغاً»²².

فالقُرآن معجز في تاريخه دون سائر الكتب، ومعجز في أثره الإنساني ومعجز كذلك في حقائقه، ويحدد الرفاعي خصائص الأسلوب القرآني في وجوه ثلاث هي:

أ- إنَّ الأسلوب القرآني مبين بنفسه لكل ما عرف من أساليب البلغاء في خطابهم، حيث نراه يجرى على نمط واحد من الدقة والإحكام، لا تلمس فيه تفاوتاً بين موضع وموضع، ولا تحس فيه فتوراً ولا خلاً، فكأنه قطعة واحدة مع طول القرآن.

ب- إنَّ الأسلوب القرآني فيه من اللين والمطاوعة على التقلب والمرونة في التأويل بحيث لا يصادم الآراء الكثيرة المتفاوتة على اختلاف العصور، فهو يفسر في كل عصر حسب ما يتهيأ لأبناء هذا العصر من قدرة على الفهم.

ت- انسجام الأسلوب القرآني وخلوه من الغرابة، فهو يسيل بسهولة، وهذه السهولة في كثير من الكلام، وكثير من أغراضه تقتضي الابتذال، ولكنها في القرآن كله وعلى تنوع أغراضه لا تقتضي إلا بالإعجاز، إنها سهولة الأوضاع الإلهية التي يعرفها كل الناس ويعجز عنها كل الناس²³.

فكلما كان الأسلوب بليغاً ويراعي أحوال المخاطبين كان مؤثراً فيهم، والخطاب القرآني هو خطاب الله تعالى إلى الخلق أجمعين على اختلاف أجناسهم وأزمانهم، لأنه يعلو على سائر الكلام ولا يُعلى عليه، وفي النهاية سارع المؤمنون للدخول فيه عن علمٍ ويقين، وأدركوا السر الجمالي والتناسقي في أساليبه البيانية، وهذا ما جعلهم يخضعون له ويعترفون أنه المعجزة الخالدة إلى يوم الدين.

6- سيد قطب: تدور فكرة الإعجاز عنده في جمالية الأسلوب والتصوير الفني في القرآن، وقد تحدث عن التصوير فقال: «إنَّه تصوير باللون، وتصوير بالحركة، وتصوير بالإيقاع»²⁴.

ولقد أثرت آيات القرآن في نفس سيد قطب وأعجب بحلاوته وطلاوته وفصاحته، لما له من سطوة على النفوس وما له من روعة في القلوب، والقرآن ينفذ بسلطانه إلى العقل والروح كما يقول: «إنَّ في هذا القرآن سرّاً خاصاً يشعر به كل من يواجه نصوصه ابتداءً، قبل أن يبحث في مواضع الإعجاز فيها، إنَّه يشعر بسلطان خاص في عبارات هذا القرآن، يشعر أنَّ هناك شيئاً ما وراء المعاني التي يدركها العقل في التعبير، وأنَّ هناك عنصراً ما ينسكب في الحس بمجرد الاستماع لهذا القرآن، يدركه بعض الناس واضحاً، ويدركه بعض الناس غامضاً، ولكنه في كل حال موجود، هذا العنصر الذي ينسكب في الحس يصعب تحديد مصدره، أهو العبارة ذاتها؟ أهو المعنى الكامن فيها؟ أهو الصور والظلال التي تشعها؟ أهو الإيقاع القرآني الخاص المتميز من سائر القول المصوغ من اللغة؟ أهو هذه العناصر كلها مجتمعة؟ أم إنَّها لشيء آخر وراءها غير محمود؟»²⁵.

فالفضل يعود للأديب سيد قطب في اكتشافه لقاعدة أساسية في أسلوب القرآن الكريم وهي قضية "التصوير الفني"، «فلم تكن مفردات القرآن وحدها شاغلة له بموسيقاها، ولا تراكيب القرآن مستأثرة باهتمامه بتناسقها وترابطها، وإنما كان نظره مركزاً في الأداة المفضلة للتعبير في كتاب الله، ولقد وجدها في التصوير، وراح يتحدث عنها بأسلوب شِعري يستهوي النفوس ويهديها بحق إلى جمال القرآن»²⁶، وبالتالي فالإعجاز الصوتي والإيقاع القرآني، كان حاضراً في كتابات سيد قطب خاصة عندما يتناول اللفظ القرآني وعلاقته بالنظم.

7- محمد عبد الله دراز: يرى أنَّ الإعجاز القرآني له ثلاثة وجوه: منها ما هو تشريعي، ومنها ما هو لغوي، ومنها ما هو علمي، ويبرز "دراز" أنَّ خصائص القرآن البيانية تتضمن أربع مراتب. أ- القرآن في قطعة منه، وذكر من أوجه الإعجاز فيها القصد في اللفظ والوفاء بحق المعنى، وخطاب العامة وخطاب الخاصة، وإقناع العقل وإمتاع العاطفة والبيان والإجمال، والإيجاز بالحذف مع الوضوح والطلاوة.

ب- القرآن في سورة منه، وذكر الانتقال من معنى إلى معنى أشق منه، وفي التنقل بين أجزاء المعنى الواحد، ونزول القرآن مفرقاً على تباعد زمني وتنوع موضوعي، ومع تلك العوامل جاء القرآن في قمة الترابط.

ج- القرآن فيما بين السور.

د- القرآن في جملته²⁷.

8- الإمام الشعراوي: بذل الإمام جهداً كبيراً في إبراز جوانب الإعجاز في القرآن، ورأى أنَّه يحوي إعجازات كثيرة ومتنوعة، والإعجاز عنده ليس إعجازاً في البلاغة فقط، ولكنه «يحيي إعجازاً في كل ما يمكن للعقل البشري أن يحوم حوله، فكل مفكر متدبر في كلام الله يجد إعجازاً، فالذي درس البلاغة رأى الإعجاز البلاغي، والذي تعلم الطب وجد إعجازاً طبياً في القرآن الكريم، وعالم النباتات رأى إعجازاً في آيات القرآن الكريم، وكذلك عالم الفلك»²⁸.

ويبدو أنَّ الشعراوي سار على نهج سلفه الذين رأوا تنوع مصادر الإعجاز في القرآن، فلم يُصادر أراءهم، وإنما سار على خطاهم وأثبت الإعجاز وألّف في ذلك مؤلفات منها "معجزة القرآن"؛ فنظرته شمولية اتسعت تقريباً كل أجزاء الإعجاز خاصة منها الإعجاز اللغوي والبلاغي، حتى أصبح تفسيره يُنعت بالتفسير اللغوي والبلاغي لكثرة طروحاته اللغوية والبيانية والفنية والبدعية.

إنَّ دراسات الشعراوي اللغوية والبلاغية لم تخرج عن جهود المفسرين الذين سبقوه، حيث يشترط الشعراوي في المعجزة شرطين يجب أن يتحققا:

أ- أن تكون خرقاً لقوانين البشر ولا يقدر عليها إلا الله سبحانه وتعالى الذي وضع هذه القوانين.

ب- أن تكون مما نبغ فيه قوم النبي أو الرسول الذي ظهرت على يديه، حتى يكون التحدي نابغاً وقوياً وإثباتاً على قدرة الله سبحانه وتعالى²⁹، وإلى المنحى نفسه ذكر هذا الزمخشري في الكشف إذ رأى أنَّ الإعجاز في القرآن على وجهين:

1- من جهة إعجاز نظمته.

2- من جهة نافية من الإخبار بالغيب³⁰.

وقد ذكر الزمخشري أثناء تفسير قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ³¹، أنه أنزل متلبساً بما لم يعلمه إلا الله من نظم معجز للخلق، وإخبار بغيوب لا سبيل لهم إليه³².

فالإعجاز الموجود في القرآن هو في الأسلوب وفي حقائق القرآن، وفي الآيات وفيما رُوي لنا من قصص الأنبياء السابقين، وفيما صحح من التوراة والإنجيل، وفيما أتى به من علم لم تكن تعلمه البشرية، وما زالت حتى الآن لا تعلمه، كل ذلك يجعل القرآن لا ريب فيه، لأنَّه لو اجتمعت الإنس والجن ما استطاعوا أن يأتوا بآية واحدة من آيات القرآن، ولذلك كلما تأملنا في القرآن وفي أسلوبه، وجدنا أنَّه بحق لا ريب فيه، لأنَّه لا أحد يستطيع أن يأتي بآية، فما بالك بالقرآن.

خاتمة البحث:

في ختام هذا البحث الموجز نقول إنَّ عدم قدرة الذات البشرية بأن يحيطوا بالقرآن الكريم ومعانيه هو تمام الإعجاز، وهو التحدي الذي قهر العرب ولا يزال إلى يوم الناس هذا، فالإعجاز مكتمون في حرفه ورسمه في نظمته وبيانه، في بدايته ونهاية، وفي قصصه وحكاياته وانتظام كلماته، في كل ما يحيط به، فكتاب الله روعة في البيان وصدق في الأخبار ودقة في الدلالة وعدالة في التشريع.. ومن هنا وجب القول بإعجازية هذا الكتاب الرباني. وعلى ذلك تتعدد جوانب الإعجاز القرآني، ومنها الإعجاز اللغوي والأدبي والبياني والبلاغي والإعجاز العلمي والتاريخي الذي تؤكد اكتشافات الأثرية للأمم البائدة التي جاء ذكرها في القرآن الكريم .. وغيرها كثير.

هوامش الدراسة:

1. بحوث لغوية، أحمد مطلوب، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 1987، ص 27.

2. بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرّماني والخطابي و الجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله و محمد زغلول سلام، دار المعارف القاهرة، مصر، ط3، 1976، ص 26.
3. المصدر السابق، ص 27.
4. بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرّماني والخطابي و الجرجاني، ص 75.
5. المرجع نفسه، ص 75.
6. معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988، 35/1.
7. البيان في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1977، ص 31.
8. ينظر: إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، (د،ت)، ص 47.
9. إعجاز القرآن، الباقلاني، ص 496.
10. المرجع نفسه، ص 286.
11. المرجع السابق، ص 69.
12. ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، (د،ت)، ص 249.
13. ينظر: الإعجاز القرآني وجوهه وأسراره، عبدالغني محمد بركة، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1989، ص 65.
14. ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص 55.
15. المصدر نفسه، ص 284.
16. نفسه، ص 85.
17. ينظر: المصدر السابق، ص 141.
18. ينظر: الإعجاز في نظم القرآن، محمود السيد شيخون، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، مصر، ط1، 1978، ص 23.
19. نال الزمخشري شهرة كبيرة بتأليف تفسيره "الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل"، حيث استطاع أن يقدمه في صورة جديدة، موظفاً أساليب البلاغة والبيان وشواهد العرب من الشعر والنثر، وارتبط مفهوم النظم عنده بعلمي البيان والمعاني؛ حيث أبان عن استحالة قراءة النص القرآني إلا بهما، وعلى المتصدي للنص المعجز أن يتزود بأدواتهما للوقوف عند طرائق التعبير في هذا النص وللوصول إلى الحقائق الجمالية المؤسسة للإعجاز في النص القرآني، «كما يعنيه ذوق أدبي مرهف يقيس الجمال البلاغي قياساً دقيقاً وما يُطوى فيه من كمال وجلال، وهو من هذه الناحية ليس له قرين سابق ولا لاحق في تاريخ التفسير، بل لقد

بداً الأوائل والأواخر، حتى لنرى أهل السنة يشيدون به ويتفسيره، على الرغم من اعتزاله، ومخالفهم له في عقيدته الاعتزالية»، ينظر: البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، ص 219-220.

20. يرى ابن عطية أن إعجاز القرآن هو في نظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه، وهو بهذا الرأي يجمع وجوهاً من آراء سابقيه من العلماء، فليس النظم وحده هو وجه الإعجاز كما يرى الجاحظ، وليس صحة المعاني وتوالي فصاحة الألفاظ وحدها هي وجه إعجاز كما يرى عبد القاهر الجرجاني، وإنما هو يجمع هذه الأمور ويجعلها وجهاً واحداً للإعجاز، وقد قال ابن عطية في مقدمة تفسيره «إن الله قد أحاط بكل شيء علماً، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن، علم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى، وتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلي آخره، والبشر يعمهم الجهل والنسيان والذهول، ومعلوم ضرورة أن أحداً من البشر لا يحيط بذلك، فهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة، وهذا يبطل قول من قال: إن العرب كان في قدرتهم الاتيان بمثله فصرفوا عن ذلك، والصحيح أنه لم يكن في قدرة أحد قط... وقامت الحجة علي العالم بالعرب، اذ كانوا أرباب الفصاحة ومظنة المعارضة»، ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبدالحق بن غالب ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001، 52/1.

21. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ص 99.

22. المرجع السابق، ص 156.

23. نفسه، ص 205.

24. التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، مصر، ط16، 2002، ص 102.

25. في ضلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط2، 2002، 605/7.

26. مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، عدنان زوزو، الدار الشامية للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1998، ص 169.

27. ينظر: النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن، عبد الله دراز، دار القلم، الكويت، 1984، ص 138-204.

28. تفسير الشعراوي، مراجعة: أحمد عمر هاشم، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، مصر، 1991، 106/1.

29. ينظر: تفسير الشعراوي، 10/ 6375.

30. ينظر: الكشف، الزمخشري، 3/ 138.

31. سورة يونس، الآية: 39.

32. ينظر: الكشف، الزمخشري، 2/ 262.

مصادر البحث ومراجعته:

1. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دارالكتاب العربي، بيروت، ط2، 2005.
2. إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، (د،ت).
3. الإعجاز القرآني وجوه وأسواره، عبدالغني محمد بركة، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1989.
4. البيان في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1977.
5. التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، مصر، ط16، 2002.
6. بحوث لغوية، أحمد مطلوب، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 1987.
7. بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرقماني والخطابي و الجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف القاهرة، مصر، ط3، 1976.
8. تفسير الشعراوي، مراجعة: أحمد عمر هاشم، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، مصر، 1991.
9. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، (د،ت).
10. في ضلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط2، 2002.
11. مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، عدنان زوزو، الدار الشامية للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1998.
12. معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988.
13. الإعجاز في نظم القرآن، محمود السيد شيخون، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، مصر، ط1، 1978.
14. النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن، عبد الله دراز، دار القلم، الكويت، 1984.